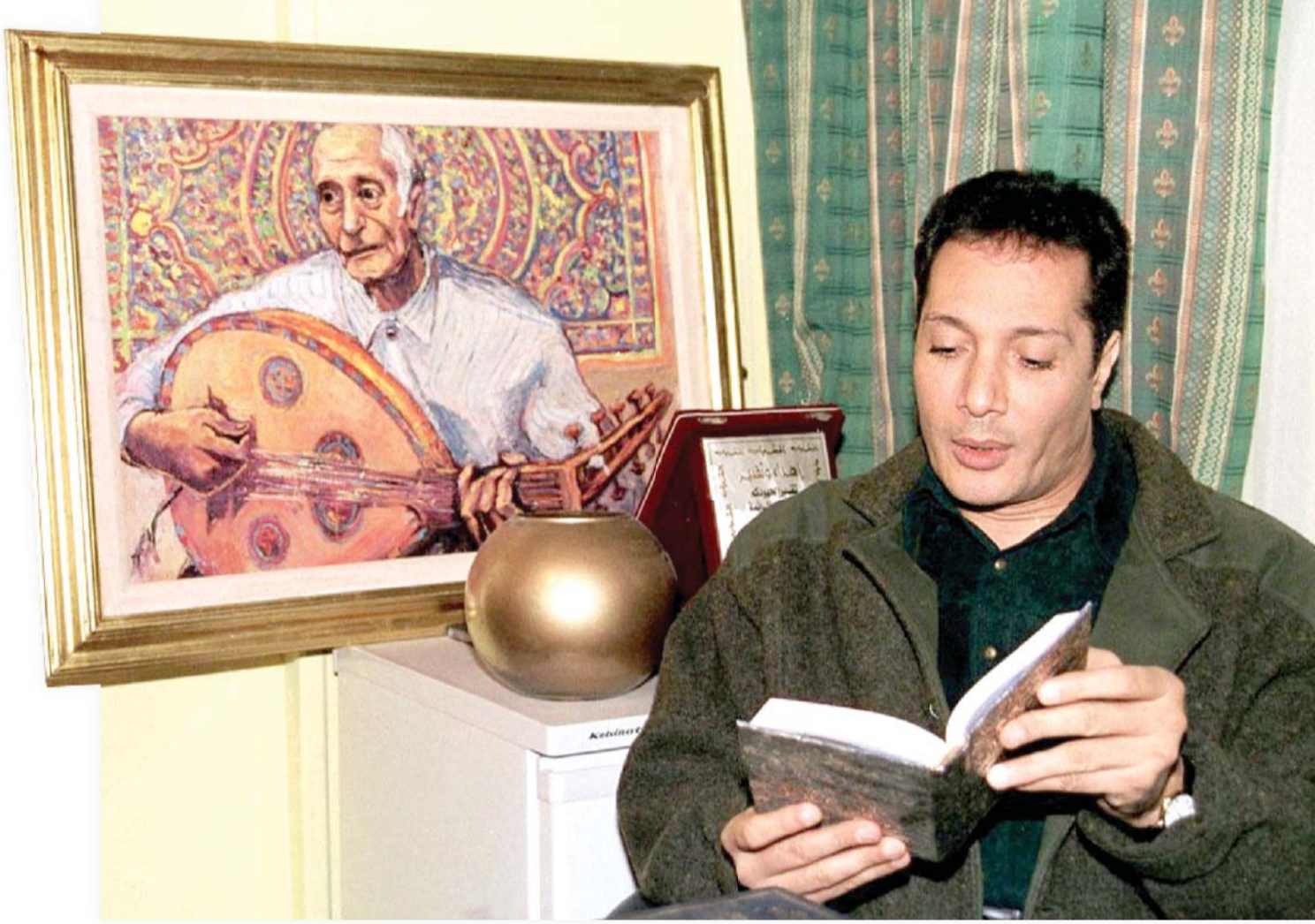


## تلاوة القرآن بأصوات المطربين مثار خلاف وتسؤلات بلا إجابات

نادرا ما مُنحت إجازة تلاوة القرآن للمطربين مهما أجادوا الترتيل



أثرت حزمة تساؤلات عن مدى احترام الأزهر للفنون الراقية، في وقت اعتبر إقدام أحد رجاله على أداء أغنية عاطفية لأم كلثوم خطأ يستوجب الإيقاف عن العمل، والتحقيق في الواقعة من أجل إنزال العقوبة المناسبة، تحت مسوغ أن الشيخ الأزهرى أضر بهيبة رجال الدين ورسالتهم.

أحمد القرملاوي  
كاتب وأديب مصري

مُثل القرآن منذ نزل محمولا على أجنحة الروح الأمين، وزُتل عبر حناجر في عذوبة أبي موسى الأشعري وتلاوة سالم مولى أبي ذؤيب، مصدر إلهام ونشوة لكل متعلق بآياته ومسحور بخصه ومعانيه. ورؤي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "ليس منا من لم يتغن بالقرآن، بجهر به"، ما يُفيد بأن تحسين الصوت في التلاوة والتلذذ بترتيل الآيات جهرا أمام الآخرين أمر يُقصد به جميع المسلمين، ليس جكرا على فئة بعينها مهما علا شأنها أو تحقق لها وضع خاص.

## دولة القراء والمطربين

ولطالما انبنى هذا التقدير المتبادل على أسس دينية ومعرفية وموسيقية، فجميعهم بدأ حياته طالبا في أحد الكتاتيب، يحفظ القرآن على يد شيخ معتمد قبل أن يبدأ مسيرة ترسمها حنجرته الاستثنائية.

وبرغم الاحترام المعلن، حافظت كل دولة (جهة) على استقلاليتها وفرضت قيودا متفاوتة التعقيد على إرسال سفرائها إلى دولة الجوار، لذا فقد قوبلت رغبة سيدة الغناء أم كلثوم في تسجيل القرآن بصوتها بالرفض القاطع خلال ستينات القرن الماضي، على الرغم من سلامة نطقها ومخارج ألفاظها وحفظها القرآن على يد مشايخ

أزهريين، وكذا قوبل طلب الموسيقار محمد عبد الوهاب، وهو من نشأ في بيت يتربد القرآن بين جدرانها ليل نهار، إذ كان أبوه مؤدنا وقارئا للقرآن في مسجد سيدى الشعراي، وخلفه الابن الأكبر حسن الذي تربي عبد الوهاب على يديه.

وترك الموسيقار عبد الوهاب تسجيلا بصوته لسورة الضحى يظهر سلامة نقله وإجادته لأحكام التلاوة والتجويد، وكذلك سجلت أم كلثوم بعض الآيات من سورة إبراهيم في فيلم "سلامة" الذي أنتج عام 1945، أبرزت إتقانها التام لأحكام التلاوة وبراعتها التي تضاهي أفضل القراء

وأجدهم على الإطلاق؛ فأدى سبب قوبلت رغبة هؤلاء بالرفض الرسمي؟

ظلت عين كبار المطربين على قدر موهبتهم على تلاوة القرآن، إذ يعتبرونها قمة الأداء الصوتي ومبلغ الجدارة النغمية، وعلى النقيض، أبدى عدد من المرئيين الأقدان رغبة ماثلة

في لوج عالم الطرب والغناء، إذ نُقل عن الشيخ محمد رفعت أنه كان يبدن بالموشحات والقصائد العاطفية حين ينفرد بنفسه أو بخاصته من المقربين، وكان محبا للموسيقى الكلاسيكية

وجامعا لأسطوانات المطربين الأقدان. كما استعان الشيخ علي محمود بالموسيقار سيد درويش في تلحين عدد من الموشحات التي كانت أشبه بالأغاني العصرية منها للنمط المعتاد في الابتهاج الديني، وهكذا فعل الشيخ سيد

القطيشي حين تعاون مع الموسيقار بلخ حمدي فصنعا عدا من الأغاني الدينية غير المسبوقة.

أما الهجرة العكسية من عالم الغناء العاطفي إلى عالم الابتهاج الديني فلها من الأمثلة في مصر ما لا يمكن حصره، نذكر منها الموسيقارين فؤاد عبدالمجيد وأمير عبدالمجيد، والمطربة ياسمين الخيام، وليست ثمة غرابة في رغبة المطربين في السفر إلى دولة القراء كسفراء منتخبين وممثلين عن دولة الطرب.

الغريب فعلا هو المنع بغية الحفاظ على هبة القراءة القرآنية وقداستها، والتحجج بالحاجة للتأكد من إجابة المطرب لأحكام التلاوة أولا وعن طريق المشاهدة، أي قراءة القرآن على أحد الشيوخ المانحين للإجازة، فالتاريخ

يُثبت أن الإجازة لا يتم منحها مهما أجاد المطرب أحكام التلاوة، مع أن القرآن أنزل للجميع، حتى بقراء الجميع. هكذا حدث مع أم كلثوم وعبد الوهاب،

وهما المتقنان لأحكام التلاوة ومخارج الألفاظ، وهكذا حدث مع علي الحجار الذي نال بالفعل إجازة من الأزهر بتسجيل آيات من القرآن تُذاع عبر حلقات "قصص الأنبياء والصحابة"،

والامر الذي يؤكد إتقانه أحكام التلاوة والتجويد، قبل أن يُقابل طلبه تسجيل القرآن كاملا بصوته بالرفض القاطع.

## حدود يصعب اختراقها

القضية إذا ليست في الإجازة من عدمها، بقدر ما هي حدود تم فرضها بين الدولتين، وليس ثمة نية لرفعها أو التساهل في تطبيقها، حتى أن الاتجاه

المعكس يُقابل بنفس الجديدة، فهي هو الشيخ إيهاب يونس القارئ والمنشد الأزهرى المعتمد يوقف عن عمله الدعوي ويُحال إلى التحقيق بسبب أدائه لأغنية عاطفية لأم كلثوم، وذلك خلال لقاء تلفزيوني في إحدى القنوات الفضائية، والحجة أن أداء الشيخ الأزهرى أغنية عاطفية يضر بهيبة رجال الدين ويتنافى مع رسالتهم.

## القضية ليست في إجابة المطربين ترتيل القرآن من عدمها، بقدر ما هي حدود تم فرضها وليس ثمة نية لرفعها أو التساهل فيها

وبحسب ما جاء على لسان وزير الأوقاف آنذاك تعليقا على هذه الواقعة، فإن البيان الذي أصدره الأزهر الشريف يؤكد احترامه التام للفنون الراقية، لكن مع الوضع في الاعتبار أن للفن رسالته وللعالم والإمام والواعظ رسالته.

ثمة تناقض لا يمكن إغفاله، فلو كان الأزهر يُكن احتراماً حقيقياً للفنون الراقية، والمقصود هنا أغاني أم كلثوم، لما اعتبر إقدام أحد رجاله على محاكاة هذه الفنون خطأ يستوجب الإيقاف عن العمل، والتحقيق في الواقعة من أجل إنزال العقوبة المناسبة.

إن مثل هذا الإجراء يُذكرنا بما لاقاه الشيخ إمام عيسى الملحن والمطرب المصري، في بداياته، حيث تم فصله من الجمعية الشرعية التي كان يتعلم فيها التلاوة كي يعمل قارئا محترفا للقرآن، بسبب سماعه للقرآن عبر جهاز الراديو، ما كان يُعد بدعة تخالف الشرع آنذاك، ما دفع الشيخ إمام لأن يحترف الغناء

متلمذا على يد الشيخ الحريري والشيخ زكريا أحمد، وهكذا يتوقع للشيخ إيهاب يونس حال استمر التنعت مع موهبته الفذة، فقد يتقدم بطلب هجرة إلى دولة المطربين مثلما فعل الشيخ إمام، وسجد ترحيبا يُماثل أو يفوق ما وجده الشيخ،

ولطالما أبدت دولة القراء سماحة أكبر مما نشهده اليوم، إذ كان روادها الأوائل يقدرون الفن ويحترمون رموزه احتراماً حقيقياً بعيداً عن الدبلوماسية والتصريحات الأنيفة، فهي هو الشيخ محمد رفعت

يحفظ مكتبة كبيرة للموسيقى الكلاسيكية والغناء العالمي، ويفتح

## علي الحجار برع في ترتيل سورة «الفتح»

في تلاوة القرآن فضلا عن الغناء، ولكننا حصلنا على تسجيلات كاملة للقرآن الكريم بأصوات في ألق أحمد سعد ورخامة بهاء سلطان، وكلاهما من تلاميذ القارئ والمنشد الفذ الشيخ محمد عمران.

وبرغم هذه المفارقة التي صرنا نعيشها بين سماحة بائدة وتشد صار سمة عصر يُفترض به أن يكون أكثر انفتاحا على التنوع والاختلاف، فإن لغة

المنع لن تجد من يعتمدها لغة للتفاهم والحوار في قابل الأيام، ولن تكون لدى أي جهة سلطة الرفض والقبول في ما يخص قراءة القرآن، لأن الوسائط الحديثة القادرة على حفظ التسجيلات ونقلها لإذنان المستمعين لا تني عن

الظهور كل حين. فاليوتيوب والساوند كلاود وغيرهما من الوسائط المتاحة للجميع تستمر في حمل الرسائل بين دولتي القراء والمطربين، وتيسير مهام السفراء المنشغلين بتقريب وجهات النظر في ما بينهما.

والأجدر أن يُنظر للأمر بشيء من السُمحة والتقبل، حتى توضع الأطر المنظمة لعملية تسجيل القرآن الكريم بما لا ينطوي على احتكار الترتيل السماوي، أو التقليل من شأن الفن

والفنانين، فلا يُطالبهم أحد بان يعتزلوا الغناء لو اعتزموا تسجيل القرآن، أو أن يخضعوا لسلطة منع جفائي قواعد الموضوعية والمساواة.

ويبقى على هؤلاء السفراء من دولة المطربين إنبات جدارتهم بما تتجيه لهم أدوات العصر، فلا يُقدم مطرب في موهبة أحمد سعد مثلا على تسجيل القرآن بصوته قبل الإمام التام بأحكام التجويد وإتقانها على الوجه الصحيح؛ فالتاريخ لن يتسامح مع المقصرين، كما سيتوقف بالمثل عن مساندة المتعنتين.

صالونه للمثقفين وكبار الموسيقيين، منهم الملحن والمطرب يهودي الديانة زكي مراد، وابنته ذات الصوت الساحر ليلى مراد. وما هو الشيخ مصطفى إسماعيل يُعرب عن إعجابه الشديد بصوت أم كلثوم، والشيخ محمد عمران يتحدث عن عبد الوهاب باعتباره

أستاذة. وضمت دولة القراء قديما بين مواطنيها الأقدان قارئات في شهرة الشيخة كريمة العدلية، والشيخة منيرة عبده، والأخيرة كانت تُناهن الشيخ محمد رفعت شهرة وتتقاضى اجرا من الإذاعة المصرية يقارب ما يتقاضاه، قبل أن يصدر قرار بمنع القارئات من تلاوة

القرآن عبر الإذاعة. كما حُفّلت السينما بتلاوات مميزة لأشهر المطربات مثل أم كلثوم ووردة الجزائرية التي رتل آيات من سورة «آل عمران» دون أن يُثير ذلك

حفيظة أحد أو يدفع البعض للقول إن ثمة انتهاكا لقدسسية القرآن. لكن يبدو أن هذه السماحة قد تآكلت في المجتمع مع توالي السنوات، وأفسخت مكانها لتتشدد صار سمة عامة لرجال الدين.

ولولا السماحة القديمة ما وصلنا الأذان عبر حناجر في سحاء المطرب السوري صباح فخري وبريق الفنان السعودي محمد عبده؛

ولولا ما استمعنا لآيات القرآن بأصوات في تلاوة صوت أم كلثوم وفرادة عبد الوهاب.

ولولا التشدد ما كنا حُرِمنا من صوت الشيخ إمام

## التلاوة والتلذذ بترتيل الآيات جهرا أمام الآخرين، أمر ليس حكرا على فئة بعينها مهما علا شأنها



ترتيل القرآن ليس حكرا على أشخاص معينين